PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

الطفل والأسواق الرّقمية للجسد
ـ مسائل قلقة في ضوء اجتياح العروض الجنسية لسياق اليومي ـ

The Child and Digital Body Economies
- Troubling Questions Amid the Pervasiveness of Sexualized Performances in Everyday Contexts -

يعقوب بن الصغير.

المركز الجامعي بريكة (الجزائر)، yakoub.benseghir@cu-barika.dz

تاريخ الاستلام: 18/ 07/ 2025 **تاريخ القبول**: 15/ 10/ 2025 **تاريخ النشر**: 31/ 10/ 2025

ملخص:

يشتغل هذا البحث على واحدٍ من الموضوعات السوسيو-اتصالية التي لا تزال تحوطها أسلاك شائكة في تقاليد البحث الاتصالي والإعلامي، ألا وهو موضوع "الطّابو الجنسي"؛ حيث ينظر الباحث لتلك العروض والمحتويات الجنسية الوافدة رقميًا عبر الصّناعات الرّقمية بمثابة "أسواق رقمية حرّة" تعرض بإثارة وإغراء مضمر جديد الأجساد المسلّعة يوميًا وبتداولٍ مفتوح الوصول، هذه السوق الحرّة التي صُمّمت على مقاسات شريحة مجتمعية جد حسّاسة، تتجاوب وتتفاعل مع الصور المتحرّكة والفيديوهات السّريعة والعروض البصرية المكثّفة بانبهار وإثارة وفضول، وهي شريحة الطفل.

ويسلكُ الباحث في مسار فك إشكالية هذا الموضوع على المقاربة "الفهمية التّاويلية" من منطلق أنّه يُشرع مجالًا أشبه بالتّحقيق العلمي، في محاولة حثيثة لفهم ظاهرة متعدّدة الأوجه وفي غاية التّعقيد ترتبط بثلاثية "الجنس، الرّقمي والطّفل".

الكلمات المفتاحية: الطّفل؛ الفضاء الرّقمي؛ الجنس؛ المحيط الاجتماعي؛ التّهديد.

Abstract:

This research tackles one of the socio-communicative topics still surrounded by sensitive and controversial boundaries within communication and media studies: the subject of “sexual taboo.” The researcher approaches the influx of sexual content and performances circulating digitally through digital industries and social media platforms as a kind of “digital free market,” where commodified bodies are daily showcased in an implicitly provocative and alluring manner, openly accessible and widely circulated. This free market appears to be meticulously tailored to appeal to a highly sensitive demographic—one that responds with fascination, excitement, and curiosity to animated images, fast-paced videos, and intense visual displays: namely, children, the primary focus of this study.

In addressing the complexity of this topic, the researcher adopts a hermeneutic-interpretive approach, framing the study as a form of scientific inquiry aimed at understanding a deeply complex and multi-dimensional phenomenon situated at the intersection of sexuality, digital media, and childhood.

Keywords: *Child; Digital space; Sex; Social environment; Threat.*

I. مقدمة:

يشهد العالم الذي نعيشه اليوم تغيّرات اجتماعية وثقافية متسارعة بشكل رهيب، تغيّرات أحدثتها ولا تزال التّطورات التكنو- اتصالية المتتالية التي شملت مختلف مناحي الحياة واثّرت بشكل واضح في أشكال التّجاذب الاجتماعي وسبل العيش، ولعلّ "الانترنت" كانت أولى مشاهد هذه الطّفرات التكنولوجية، ومنها تفرّعت تدريجيًا وسائل وأشكال وسائطية رقمية تتغذى بروحِ الشّبكة العنكبوتية العالمية، ووصلت اليوم في رحلتها إلى حدود عالمِ الذّكاء الاصطناعي بمختلف أنظمته وأدواته، العالم الذي بدأت تجتاحه "أدمغة آلية" جاءت لتماثل قدرات البشر، إنْ على مستوى التّفكير أو على مستوى أداء المهام.

ولأنّ التّحول الرّقمي المتزايد الذي يشهده العالم اليوم بات حقيقة ماثلة للعيان، فإنّ الوقوف على واقعه وتمثّلاته، يعد من أولى أولويات الخبراء والمفكّرين كل من دائرة مجاله وزاوية اهتمامه، تمامًا كحقل الإعلام والاتصال والميديا الجديدة الذي ما يلبث مع كل تحول رقمي أن يُشعل السؤال ويفتح النّقاش بجدّية حيال مسائل مختلفة تتعلّق بأنماط الاستخدام تارة وبأشكال التّفاعل تارة أخرى، ومرّة باستجلاء المكاسب ومرّات أخرى برصد التّأثيرات والمخاوف، وغيرها من الأبعاد البحثية التي يمكن إثارتها فيما له علاقة بالعُدة التكنولوجية التي تستقوى في محيط عيشنا إلى درجة أن أصحبت فعلًا أشبه بـ "أعضاء بشرية" تلتصق بأجسادنا مثلها مثل الرأس والذراع والقدم. هكذا تنبّأ سيغموند فرويد Sigmund Freud وهو يُناقش مسألة "سطوة التكنولوجيا على حياة الإنسان" مستقبلًا.

وكما أثير آنفًا في الطّرح.. فإنّ علوم الاتصال والإعلام ودراسات الميديا الاجتماعية على وجه التّحديد، ليست بمنأى عن كل ما يحدث؛ فتشريح وتشخيص مختلف الظّواهر والموضوعات التي ولّدتها "البيئة الرّقمية" تعتبر ضرورة حتمية لفهم التّبدلات التي تطرأ على المشهد المجتمعي بكل تمثّلاته وتعقيداته، مع وجوب التّعجيل بالتّحقيق العلمي في كثير من المسائل القلقة ذات الصلة بالتّكنولوجية، كـ "النّزعة الفردانية" التي تحرّض عليها هذه الوساطات الرّقمية، و"العزلة الاجتماعية" التي ترسم حدودها الوهمية، و"التّكشف" الذي تُريه للأخر، وإذابة "الأخلاق والقيم" التي تفرضها مع مضي الوقت باسم الشّفافية والتّحرر... هذا عدا تعميقها لكثير من الأزمات النّفسية المختلفة كالعُنف والعدوانية والاكتئاب والتّنمر ... وغيرها من الظّواهر التي باتت تتطلب إثارة حزمة من الاستفهامات، والتي قد لا يسمح المقام لعدّها واستعراض عواقبها.

ولعلّ الأرقام المرعبة التي تكشفها الكثير من التّقارير السّنوية والأبحاث العلمية الدّورية المتعلّقة بظاهرة المحتويات الجنسية بمختلف أشكالها الرّقمية تعدّ من أهم الموضوعات التي ينبغي التّصدي لها بالبحث والتّشخيص والمساءلة الجادّة، وبالتّحديد إشكالية "العروض الجنسية الوافدة رقميًا" إلى شريحة الطفل وتهديداتها المحتملة، باعتبارها من أكثر الموضوعات السوسيولوجية والأنثروبولوجية المسكوتِ عليها في السّياق الاجتماعي التّقليدي، على الرّغم من دراية الجميع (الأسرة، المؤسّسات وكل مكونات المجتمع وفضاءات التّنشئة الاجتماعية...) بواقع حال هذه الظّاهرة وبتقدير مآلاتها على مستقبل الأجيال المقبلة. ولعلّ هذا الصّمت يتوزّع على مجموعة من المبرّرات يتقدمها الخوف من المصارحة الاجتماعية وغياب حلقات الحوار والنّقاش المستفيض مؤسساتيًا وأسريًا، والذي بدوره يوعز إلى مجموعة من المبررات الاجتماعية والثقافية والدّينية... وغيرها. إنّ فتح مثل هذه الموضوعات العلمية والتّصدي لها بالبحث والتّحقيق العلمي لم يعد مسألة خيار، وإنّما أصبح موضوعًا من أولى الأولويات، قياسًا لحساسيته وأهميته في سياقات العيش.

إنّ التّهديد الأكبر الذي ينبغي الانتباه له عند محاولة فهم "ظاهرة العروض الجنسية الرّقمية الوافدة" هي أنّها واقع مفروض ومفاجئ يواجه الطّفل في أي لحظة، وليست بالضّرورة خيارًا أو خطوة مطلوبة، وهذا ما كشفته الباحثة Elena Martelozzo في تقرير أعدته جامعة ميدلسيكس Middlesex University بالتّنسيق مع مفوضية الطفولة Children's commissioner وكذا "الجمعية البريطانية لحماية الطفولة من العنف" (NSPCC)، حيث تقول هنا: (Middlesex University, 2016)

> **"بالرّغم من أن العديد من الأطفال لم يبلّغوا عن مشاهدتهم لمواد إباحية على الإنترنت، إلا أنه من المقلق أن بعض الأطفال قد صادفوها عن طريق الخطأ ويمكن أن يتم إرسالها إليهم دون أن يطلبوها".**

غير أنّ أغلب الأبحاث والدّراسات التي عالجت ظاهرة مخاطر التّعرض المكثّف للجنس الرّقمي لدى الطفل، أوصت بنقاط مشابهة ومتقاربة جدًا، كضرورة – على سبيل المثال لا للحصر - اتخاذ التّدابير التقنية وحماية الأطفال والمراهقين من المخاطر المحتملة لوسائل الاتصال الجديدة التي تتطلب من الآباء والأمهات تثقيفهم وتزويدهم بالمعلومات التي يحتاجونها... (Rouillé-Mirza, et al., 2007) غير أنّ الملاحظ في هذه الدّراسات والأبحاث العلمية أنّها أجريت في بيئات وسياقات مجتمعية ليست بعيدة فقط عن مجتمعاتنا وبيئاتنا، وإنّما متعارضة ومختلفة معها تمامًا، ما يجعل المنطلقات الفكرية والبُنى النّظرية ونتائج الدّراسات المخبرية المتداولة غير كافية تمامًا في مسار فهم خصوصية "الظّاهرة الجنسية الرّقمية" في السّياق العربي والمحلي الذي تفرض معالمه وحدوده أنساق دينية، وروابط اجتماعية، وعناصر ثقافية وإيديولوجية جد خاصّة. مع أنّ هذا الاختلاف لا يقصي بالضّرورة الطروحات والأفكار الغربية عند تناولها للظّاهرة، بل يجب قراءتها والاستزادة بها في بعض المرّات عند توجيه المعطيات والاستدلال بحالات معيّنة، ومع هذا هنالك ضرورة بأن نتموقع فكريًا وبحثيًا في زوايا خاصّة بنا، لمحاولة فهم ظواهرنا بالأساليب والأدوات والحيل والحلول التي يمكن تطويعها على مقاساتنا.

ولهذا الباعث بالذّات، فإنّ ورقتنا البحثية هذه تستند إلى بعض الأبحاث والدّراسات العلمية الغربية فيما له صلة بثلاثية "العدّة الرّقمية، الطّفل والجنس"، في محاولة لاحتواء مختلف التّصورات والأفكار والطّروحات المعرفية التي تُشكّل أساسات ضرورية لفك ألغاز الموضوع قيد الدّراسة. وإن كنّا هنا نشير إلى ندرة وقلة الدراسات المحلية (الجزائرية) - في حدود ما اطلعنا - التي تتناول نظريًا وميدانيًا قضايا الجنس الرّقمي وخباياه في السّياق الاجتماعي التّقليدي، لأسباب كنّا قد أشرنا إليها آنفًا، وأسباب أخرى تبقى في دائرة "ما يجبُ أن نعرفه".

تأسيسًا على ما سبق، يتوجه مقالنا البحثي هذا إثارة **إشكالية علمية** جوهرية تتمثّل في:

ما طبيعة العروض الجنسية الوافدة رقميًا إلى فضاءات الطّفل؟ وما هي أهم التّهديدات التي تواجهه؟

ولفك هذه الإشكالية، يتّكئ البحث على جملة التّساؤلات الآتية:

- ما هي أبرز أشكال وقوالب العروض الجنسية التي تقدّمها وتبتكر فيها الشّركات الرّقمية المتخصّصة؟
- كيف تؤثّر الصورة الجنسية على مخيّلة الطّفل؟ وما هي محطّات هذا التّأثير من التّآلف إلى الاعتياد؟
- ما هي التأثيرات والتّهديدات الأبرز التي تشكّلها العروض الجنسية الرّقمية الوافدة، على الطفل والأسرة؟

- كيف يمكن أن نحمي الطّفل من خطر الجنس الرّقمي الوافد في ظل تصاعد وتغوّل الصناعات الرّقمية؟

II. منهج البحث وأدواته:

اعتمدنا في مسار فك إشكالية هذا البحث على "**المقاربة الفهمية التّاويلية**" من منطلق أنّنا فتحنا مجالًا أشبه بالتّحقيق العلمي في محاولة حثيثة لفهم ظاهرة متعدّدة الأوجه وفي غاية التّعقيد ترتبط بثلاثية "الطّفل، الجنس والرّقمي" وبالضّبط عند "استهلاك الطّفل للمحتوى الجنسي الوافد عبر الانترنت". حيث نستأنس هنا بتطويع فكرة جورج جربنر George Gerbner "أنّ كل منتج إعلامي غير بريء"، إلى القول أنّ "كل محتوى رقمي غير بريء" وهذا في ظل التّصاعد المخيف لاستعراض وتكريس الثقافة الجنسية واستسهالها رقميًا والتي تتبنّاها الرأسمالية الغربية المتوحّشة، من خلال امبراطوريات إعلامية ورقمية عابرة للقارات ومخترقة للشعوب والثقافات أو كما نعبّر عليه هنا في البحث بالمحتوى "الوافد". إذ نحاول في هذا الجانب فهم وتأويل مشروع هذه الصّناعات الرّقمية العالمية في ضوء واقع استخدام الأطفال للعدة التكنولوجية وفضاءات التّواصل الاجتماعي ميدانيًا، بالإضافة إلى الاستناد على نتائج بعض التّقارير الاحصائية والطروحات التّحليلية التي يسهم بها الخبراء فيما له صلة بالموضوع.

وبناءً على طبيعة المنهج المستخدم وتحقيقًا لأهداف البحث المسطّرة، اعتمدنا على أداة محورية في تجميع البيانات وهي "**المقابلة العلمية المفتوحة**"، وذلك من خلال اختيار عدد من الأساتذة الباحثين ببعض المؤسسات الجامعية الجزائرية بطريقة "قصدية"، طمعًا في مناقشة البيانات والمعلومات بطريقة مباشرة وأكثر تركيزًا. وهؤلاء الأساتذة المقابَلون يمثّلون مجالات وتخصصات علمية متعدّدة، تخصص علوم الإعلام والاتصال والميديا الاجتماعية بدرجة أولى – مجال اشتغالنا -، بالإضافة إلى تخصصي علم الاجتماع، النّفس. على أنّ عملية الاختيار شملت حصرًا الأساتذة المُتاحين الذين نعتقد أنّ لهم اهتمام وارتباط فكري وبحثي بالموضوع، وإيمانًا منّا بإمكانية إسهامهم في الإضافة للمعرفة الإنسانية المنجزة Contribition to knowledge على مستوى الموضوع المُثار، والذين بلغ عددهم في النّهاية 16 أستاذًا باحثًا.

1. سطوة العروض الجنسية: فكرة واحدة.. قوالب واستراتيجيات متعددة.

إنّ أشكال العروض والمواد الجنسية الوافدة على الأنترنت عديدة ومتنوعة، حيث يمكن أن تأخذ أكثر من طابع، فقد تكون مكتوبة، مسموعة، بصرية،... أي يمكن أن تظهر في شكل لغات، صور، فيديوهات، إيموجيز Emojis. بشكل مباشر واضح أو بشكل غير مباشر ومضمر. غير أنّنا هنا سنركّز على القوالب والاستراتيجيات التي تتبناها الصّناعات الرّقمية للجنس في سبيل وصولها للطّفل المستخدم، والتي غالبًا ما تكون بطريقة تمويهية:

- **طلبات الصّداقة الوهمية والمكالمات الهاتفية:** يتصادف الطفل كما جميع مستخدمي تطبيقات وأدوات التّواصل الاجتماعي يوميًا مع الكثير من مقترحات الصّداقة والمتابعة مع أشخاص لا يعرفهم، حيث تُسهّل البيانات الشّخصية التي يُتوقع أن يُدخلها الطفل من عمل واستراتيجية إدارة المحتويات الرّقمية. وبين الفينة والأخرى يتفاجأ الطفل على شاشته باتصال هاتفي، يحرّضه "الزر الأخضر" الذي يهتز بسرعة كي يردّ على المكالمة ومن ثمّ الدخول في متاهات معقدّة، وغالبًا ما كانت

الحسابات الوهمية أو الاتصالات الهاتفية الجارية بخلفيات وصور تحمل إيحاءات جنسية لطيفة تتماشى مع نوع وسن للطّفل ومستوياته الإدراكية والاجتماعية.

إنّ فكرة توظيف "المكالمات الهاتفية المسوّقة للجنس" أثناء الدردشة العادية للطفل أو الاستخدام الهادئ للمنصات الرّقمية، يمكن أن يكون على ارتباط بالمجال الذي بحثت فيه Alexandra Zidenberg وهو "البارافيليا"، حيث تعتقد أنّ المكالمات الهاتفية الفاحشة تنطوي على الإثارة الجنسية المستمدة من تعريض الضّحية المطمئنّة لمواد جنسية صريحة بحسب ما تنقله Newring، حيث توصف المكالمات الهاتفية الفاحشة والتهديدية بأنها ضجيج الخلفية للترهيب الجنسي في الحياة الحديثة. (Zidenberg, 2015) ولهذا فإنّ اقتراح الشركات بطريقة تحريضية للرّد على المكالمات الهاتفية غرضه كسر هدوء المستخدم، بإثارته وخطف انتباهه دائمًا نحو المحتوى المحضور.

- **العروض الموسيقية:** تعد الفيديوهات الموسيقية من أكثر القوالب التي يتم التّركيز عليها في عمليات الإغواء بالجنس، أين تكون أبرز الصور الواردة خاصّة بالرقص الجنسي والإيحائي وملامسة الذات. وغالبًا ما يتم استخدام عناصر كالأنثى والفنانات بطرق جنسية أكثر من عناصر كالرجال والفنانين الذّكور. ويمتد هذا الاتجاه إلى ألعاب الفيديو. (Monique Ward, et al., 2016)
- **ألعاب التّرفيه الإلكترونية:** ربطًا بالنقطة السّابقة وعلى خلاف الفكرة، فإنّ تمثيل النّساء يكون أقل من تمثيل الرجال في "الالعاب الإلكترونية"، وحينما يظهرن في هذه الألعاب، فإنهن أكثر عرضة من الرّجال للظهور بمظاهر جنسي أو بملابس كاشفة أو عارية جنسياً. (Monique Ward, et al., 2016) ولهذا فإنّ فرضية التّعرض للمحتوى الجنسي إلكترونيًا تزداد أكثر في مساحات التّرفيه والتّسلية والتّرويح عن النّفس، وهو شكل أو نمط على قدر كبير من الأهمية لدى مصممي البرامج وشركات الألعاب الإلكترونية، فهم يستهدفون نفسية الطّفل التي تكون في وضع أكثر ارتياحًا ومناسبًا لخلق نشوة داخلية لديه فتزداد فرص احتمالية تقبلهم للعرض الجديد.

في هذا الصّدد يثري الطّرح كل من Rouillé-Mirz & Barbry، فاحتمالية تعرّض الأطفال القصّر للصور والمواد الجنسية قد تكون بمجرّد الدخول إلى مواقع معيّنة لتحميل الموسيقى أو الأفلام أو ألعاب الفيديو، حيث يمكن استخدام هذه الأنواع من الملفات من قبل ناشري المحتوى الإباحي أو المتحرشين بالأطفال الذين يعملون على الإنترنت. (Rouillé-Mirza, et al., 2007) وللإشارة فقط، فإنّ أغلب الرّوابط الموضوعة التي يتم تزويدها للأطفال غالبًا ما تحمل ملفات خبيثة لضحاياها الأطفال، على أساس أنّها روابط لتحيين وتحديث لعبة معيّنة قيد الاستخدام، أو لعبة جديدة مقترحة.

- بعيدًا عن هذا الطّرح يعتقد "ساحل" أنّ هذه الشركات التكنولوجية تنظر للطّفل على أنّه مستهلك بالدّرجة الأولى، فهي تنشط في صناعة الفرجة والتّرفيه وفي تحقيق الرّبح أيضًا، فالطّفل هو نموذج تجاري للمستهلك الحاضر والمستقبلي ، وبالتّالي - حسبه - فإنّ صناعة التّرفيه (بغض النّظر عن طبيعة المحتوى) لها ارتباط مع الشراء، هذا الذي الأخير الذي يطلبه الطفل من الأسرة. ما يعني ضرورة النّظر إلى هذه الألعاب الإلكترونية التّرفيهية من زاوية اقتصادية أيضًا. (ساحل، 2024)
- **نوافذ الإعلانات المفاجئة:** إنّ الملاحظ أثناء عملية التّصفح والتّحريك على شاشات الهواتف والتّنقل بين الفضاءات المختلفة المتاحة وعبر البرامج والتّطبيقات الإلكترونية هو الانتشار المكثّف والدّوري "للإعلانات الالكترونية" التي تكون مزعجة في الغالب بالنّظر لصعوبة الغلق والانسحاب منها، أو

لضغوطات الإعلان على متابعته لثواني محدّدة. والإعلان الموجّه للطفل هو اعلان مدروس يستهدف اهتماماته ويعرف كيف يصل إلى تحريك رغبته وذلك بالاعتماد على عنصر الجذب بصور جنسية طفولية تشعل اللّذة وتقوي هذه الرّغبة.

وفي الآونة الأخيرة باتت تتجه الكثير من شركات ألعاب الهاتف المحمول لاستخدام الإعلانات الجنسية لجذب مستخدمين جدد. وفي تبعات هذا التّوجه، أوقفت مجموعة معايير الإعلانات (ASA) إعلانًا تم عرضه ضمن لعبة Angry Birds 2 على الهاتف النّقال، والذي تضمّن امرأة متحركة تلعب لعبة البلياردو وهي بقميص من الجينز يكشف عن صدرها، وذلك في إطار التّرويج للعبة Infinity 8 Ball، حيث أدلت هنا شركة "Rovio "مبتكرة اللّعبة، بأنّ هذا الإعلان انتهك سياساتها وظهر بالخطأ. (Criddle, 2022) كل هذا من منطق أنّ الطفل يُغرى بالصورة الإعلانية المُثيرة، ولا يوجد أفضل فضاء من "فضاء اللّعب" كي يتمّ استهدافه واستدراجه.

في هذا الصّدد خلُصت نتائج دراسة بجامعة ميدلسيكس، إلى أنّ فئة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 11 إلى 12 سنة، تبيّن أنّهم تعرّضوا للمحتوى الإباحي من صور أو فيديوهات عن طريق "الصدفة" وذلك أثناء البحث في الانترنت، من خلال نوافذ الإعلانات التي تبرز بشكل مفاجئ أثناء التّصفح. (Middlesex University, 2016) ما يعني أنّ الإعلانات الإلكترونية هي واحدة من أهم وأقوى القوالب التي تركّز عليها هذه الصناعات الرّقمية الجنسية.

- **الإغراء بالهدايا والأغلفة المالية:** ترتكز استراتيجية الصناعات الرّقمية على إغراء الطّفل المستخدم بإمكانية تحقيق الفوز وافتكاك جائزة من جوائزها، وذلك بطرائق مختلفة، تتنوّع بين الضّغط على الرّابط، إرسال الرّابط، طلب دعم الأصدقاء، المشاركة في قرعة، الحضور في فعالية افتراضية... وضع صور شخصية، وغيرها من الطّرائق التي تستهدف تمرير الرّسائل الجنسية المختلفة الأوجه.

في هذا الصّدد يلفت تقرير "الحماية من الأذى في كينيا" Disrupting Harm in Kenya عام 2020، والمنجز من قبل الشبكة الدولية للقضاء على استغلال الأطفال في البغاء وإنتاج المواد الإباحية والاتجار بهم لأغراض جنسية (ECPAT)، والإنتربول، ومكتب إينوتشينتي للأبحاث التابع لليونيسف، بأنّ 07% من الأطفال الذين يستخدمون الانترنت عُرضت عليهم أموال أو هدايا شريطة إرسالهم لصور وفيديوهات شخصية وذات طابع جنسي لهم، وكانت هذه الصور قد عمّمت لاحقًا دون موافقتهم. (ECPAT, INTERPOL and UNICEF, 2021)

إن آلية الهدايا، وإن لم تستهدف تسويق "المحتوى الجنسي" كأسوأ الأحوال، فهي وسيلة للنّصب والاحتيال؛ إذ أنّ البنوك باتت تقدم اليوم منتجات وخدمات مخصّصة للأطفال ك "البطاقات المصرفية" المصمّمة للأطفال دون سن 12 عاماً، هذه البطاقات التي جعلت الأطفال عرضة لعمليات الاحتيال التّقليدية، مثل وعدهم بمنحهم جهاز PlaySation 5 مجانًا أو هدايا قيّمة أخرى، في حالة إدخالهم لبيانات بطاقاتهم المصرفية في موقع احتيالي مجهّز. وباستخدام مناورات الهندسة الاجتماعية يقوم المحتالون بتحويل الأموال إلى حساباتهم الشّخصية. (البوابة العربية للأخبار التقنية، 2024)

- **محرّكات البحث:** يولي مصممو البرامج والخدائع التقنية غالبًا أهمية بالغة للخطوة الارتيادية من دخول الأطفال إلى مواقع الانترنت، لذلك يتم الحديث الآن عن إدارة ما تبحث عنه وتوجيه سلوكك الإستخدامي، فليس بالضرورة أنّ ما تبحث عنه هو ما يجب أن تجده، إذ يمكن أن يتعرض القاصرون على وجه التّحديد لصور ضارّة دون علمهم، سواء كانت إباحية أو عنيفة أو مسيئة للكرامة، وعلى سبيل المثال عن طريق إدخال كلمة رئيسية تبدو عادية على "محرك بحث". (Rouillé-

(Mirza, et al., 2007 فيحاول المحرّك أن يبحث عن أقبح وجه للمفردة "تأويلًا خادعًا" لقيادته نحو محتوى مغاير. وفي ذات اللّحظة أيضًا يركز المصمّمون على لحظات الانتظار (جارٍ البحث)، لاقتراح صور خليعة أو مسيئة تنتظر لمس الزر فقط من الطّفل، وفي مرّات كثيرة يتلاعب المصمّمين بنفسية الاطفال وحماستهم بالرّفع من وتيرة الجذب فتهتز أيقونات دقيقة التّسمية، على شاكلة "موافق، مستعد، أو المزيد، هيّا الآن..." بإغراء بصري عنيف يزيد من احتمالية ضغط الطّفل ولو عن مضض في البداية.

- **الحفلات الجنسية الافتراضية:** إنّ من أكثر الأشكال التي انتشرت في الآونة الأخيرة هي إقامة "حفلات جنسية" يتم عرضها وحضورها افتراضيًا، والتي فرضها انتشار جائحة كورونا كوفيد 19 من جهة وسياسة الإغلاق الذي انتهجته كثير من دول العالم خصوصًا في أوربا لمواجهة الفيروس، حيث أُجبر النّاس أنذاك على تطبيق المزيد من إجراءات التّباعد الاجتماعي والحميمي، ما جعل شريحة واسعة من المراهقين تملأ فراغها بمتابعة وحضور فعاليات هذه الحفلات مقابل اشتراكات ومبالغ مالية محدّدة، من خلال شركة "كيلينغ كثينز" للعروض الإفتراضية أو الحفلات التي تقام عبر منصة ZOOM، أو عبر تطبيقات المواعدة "بامبل" أو حفلات "لوبودوار" و "بربيل مامبا"... وقد وجد هؤلاء النّاس في هذه الفاعليات فرصة لتعويض شعور العزلة وإشباع رغباتهم الدّاخلية. (كلين، 2021)

  يقر منظّمو هذه التّجارب عبر الانترنت إلى أنّ الضّيوف المشاركون يتابعون "الحدث" افتراضيًا ويحضون بالرّضا العالي، طالما أنّ مبدأ الأمان هو أكثر ما يُشجع على الحضور والمشاركة. ويشير مهتمون في هذا الصّدد إلى أنّ هنالك جانبًا من الأمان الذي يُشجع المراهقين على الحضور، فعندما تكون المشاركة عبارة عن دردشة عن طريق كاميرا الفيديو، يمكنك، فيمكنك غلق الشاشة وقطع الاتصال في أي لحظة. (كلين، 2021)

- **الرّوابط الالكترونية:** وغالبًا ما يعتمد مصمّمي الرّوابط الإلكترونية على تغليف بصري ولغوي مثير، يحرّض الطّفل ويُعجّل به للضّغط على الزر مثل: شاهد بالصور، صور حصرية، صدمة، شاهد قبل الحذف... وغيرها من الكلمات والتّعابير التي تثير الطّفل وتُحفّزه على معاينة هذه المحتويات بطريقة خادعة، وهي في الأصل روابط لمحتويات جنسية مباشرة أو ضمنية.

  وليس بعيدًا عن عن أنماط واستراتيجيات التّهديدات الرّقمية للمستخدمين في البيئة الرّقمية، كان التّقرير السّنوي الذي أعدّه Kaspersky Security Network في الفترة الممتدة بين نوفمبر 2022 وأكتوبر 2023، والخاص برصد مشهد وحركة المعلومات والأنشطة الخبيثة في الفضاء السيبراني، قد كشف أنّ الجزائر احتلّت المرتبة الرّابعة من بين أكثر 10 دول وأقاليم يواجه فيها المستخدمون أكبر خطر للإصابة بتهديدات البرمجيات الخبيثة عبر الإنترنت وذلك بنسبة 22,64%، كما كشف ذات التّقرير أنّ الجزائر احتلّت المرتبة السّادسة في قائمة تضم أكثر 20 دولة وإقليم التي تتعرض فيها أجهزة المستخدمين الشّخصية والوسائط المتّصلة بها (محرّكات أقراص فلاش، كاميرا، بطاقات ذاكرة الهاتف، الأقراص الصّلبة والمدمجة) للمحتويات الخبيثة وذلك بنسبة 49,40. (Kaspersky Security Network (KSN), 2023 pp. 16 - 19)

2. الطفل ورحلة التآلف والاعتياد مع الصورة: من الصفر إلى الإدمان

تعتبر الصورة من أكثر المواد التي تثير اهتمام الطّفل، وغالبًا ما كانت هي المادة التي تهز كيانه، فهي التي تجعله يستجيب لها تلقائيًا وينفعل معها بطريقة عفوية، ذلك لأنّ مثل هذه المادة (الصورة البصرية)

المثيرة للانتباه، من شأنها أن تشبع حاجة من حاجياته النّفسية أو تحمل إليه شيئًا من المعلومات التي قد يجهلها، أو تقدم له نافذة للخروج من التّوتر النّفسي الذي هو فيه. (خطوط، وآخرون، 2017 صفحة 241) لذلك فإنّ الصورة هي أهم مكوّن من المكونات التي تتّكئ عليها الشركات الرّقمية في محاولتها للوصول إلى الطّفل.

إنّ للصورة تأثير رهيب على الدّماغ فهي الأقدر على الاستحواذ عليه، حتّى أنّه بالعودة إلى تاريخ العروض الجنسية في عصر ما قبل الانترنت، نجد أنّ موضوع الجنس لم يكن ليسيطر على اهتمام المتلقي القارئ لولا الصور المرفقة التي تُثير الاهتمام، فالمجلة الورقية الإباحية مثلًا التي نشرها ألفريد لم تلق اهتمام المجتمع الأمريكي رغم الأسلوب القذر والمحتويات المثيرة التي تحتويها صفحاته، إلى أن جاء "هيو هيفنر" واستفاد من تجربة ألفريد، وأخذ يرفق المقالات الإباحية بالصور، فبدأ يحصل على قبول النّاس وتزداد شعبية هذه المضامين، التي مع مرور الوقت اعتاد النّاس عليها، خصوصًا مع ظهور السينما، وانتشار أجهزة الفيديو وشيوع الأفلام التي نقلت موضوع الجنس من الفضاءات الضّيقة إلى الفضاءات المفتوحة. (عبد الجواد، 2021)

وتستهدف اليوم الشركات المصنّعة للعروض الجنسية الرّقمية "الطفل" تحديدًا، بالنّظر للمرحلة العمرية التي يعيشها، إذ تتميز بعدم النضج الفكري والسذاجة وعفوية البراءة الطفولية، زيادة على خاصية مهمة جدا وهي الفضول وحب الاكتشاف خاصة في المواضيع التي لا توفرها الأسرة والمحيط المقرّب . وبمجرّد ولوج الطفل الافتراضي للمساحات الجنسية المختلفة (الإعلانات والتّطبيقات. وغيرها) يجد صور ومشاهد غريبة عليه وجديدة على مخيلته، وبطابع الفضول يجد نفسه يتابعها بشكل متكرر يميل بعدها الى مداومة المتابعة لما يجد فيها من لذة بصرية ولذة فكرية كونها مشاهد جدية عليه يحس معها بإحساس غريب عليه، كونه لا يعرف اللّذة الجنسية بعد، ليجد نفسه بعد عدة مشاهدات يداوم عليها إلى درجة الادمان. (حمّاني، 2024)

ويضيف "بن معمّر" متّفقًا مع الطّرح السّابق، أنّ التّعرض المتكرّر لهذه المحتويات الجنسية يسهم مع مرور الوقت في التّأثير على الجانب النّفسي والاجتماعي للطفل، حيث أنّ التّعرض المتكرر بدافع الفضول يؤدّي به في مرحلة لاحقة إلى التّعرض من خلال "التّفكير" فيما تمّ مشاهدته في المرّة الأولى، حيث يدخل الطّفل في حالة صراع داخلي بين مكوّنات الجهاز النّفسي بوجود رغبتين متناقضتين متصارعتين، أو لنقُل أنّ هنالك نزاع بين رغبات متضادّة، عدم إشباع الرّغبات، عدم تركها أو التّعبير عنها شعوريًا لأنّها تتناقض مع المرجعية الدّينية والقيمية والاجتماعية التي يستند عليها في فضاء عيشه. وعليه إن لم يستطع ترجمة الموقف الذي هو فيه، مع عدم قدرته على تسيير رغباته، فإنّه يعود للمشاهدة للمرة الثانية والثالثة... فيحدث التآلف والاعتيادية وتقبل ما شاهده مع مرور الوقت، وفي مرحلة لاحقة يصبح هنالك ادمان على استهلاك مثل هذه الصور من خلال المشاهدة الروتينية التّصفح الدّائم، دون القدرة على الانسحاب من الوضع. (بن معمّر، 2024)

لكن ومع هذا، من النّاحية العملية قد ينفر الطّفل من الوهلة الأولى من تلك الصور الجنسية الحقيقية التي تُعرض عليه بصريًا في مختلف المساحات الرّقمية، خصوصًا إذا كانت صور صادمة و يتعرّض لها لأول مرّة. لذلك اتخذ تجّار الجنس استراتيجية مغايرة من خلال استخدام وتوظيف أبطال ومشاهير الرسوم المتحرّكة لجذب هؤلاء الأطفال، على اعتبار أنّ هنالك تآلف مسبق مع صور الرسوم المتحرّكة، فيتم

خلق وتمرير رسائل جنسية متنوّعة تتضمن (مشاهد رومانسية، علاقات جنسية تلامسية، إبراز فاضح لمفاتن الأنثى، عرض لشهوانية الذّكر...) وكل هذا بالاعتماد على الألوان المغرية، وعلى حركات سريعة مؤثّرة... وغير ذلك.

ومع كل الصعوبات التي يواجهها صنّاع المحتوى الجنسي رقميًا في الوصول إلى شريحة الطّفل، إلّا أنّ عمليات التّطوير مستمرّة وفي كل مرّة يتم تطوير أو خلق أسلوب مغري جديد يتمّ من خلاله استهداف مخيّلة الطّفل واحتلالها بالمواد الجنسية المختلفة، وفي هذا الصّدد ينبّه "بوجمعة" إلى أنّ محترفو الإشهار يستهدفون الطّفل باعتباره قائد رأي، ولكن في الوقت نفسه فئة هشّة يسهل الوصول إليها واستهدافها، باعتبارها لا زالت في مرحلة التّشكيل النّفسي والإدراكي. (بوجمعة، 2024) ولهذا فإنّ مهندسي وممتهني هذه الصّناعة الجنسية يشتغلون على بعض التّفاصيل والمكونات السّمعية البصرية بناءً على طبيعة الطفل المستهدف، سنّه، نوعه، وضعه.. وبالدّرجة الأساس محيطه الاجتماعي وسياقات استخدامه.

إنّ عمل الانترنت معقد لدرجة كبيرة، هو أشبه بالمحقق والمرصد الذي يسجّل كلش شيء، حيث أنّ أنشطة الطفل واهتماماته المعلنة وغير المعلنة محفوظة, وبالتّالي ذاكرة الانترنت ودماغ التقنية لا ينسيان نشاط المرء, فسجل نشاط وحركة الطّفل على شاشة الحاسوب والهاتف واللّوح الذّكي يعبّر عمليًا عن ما يشغل باله وما يرغب فيه أو ما يطمح إليه. لذلك فإنّ التّعرض المستمر أو المتقطع بالهدف أو بالصدفة لمحتويات بعينها، تفهمه التقنية على أنّه حاجة داخلية واهتمام شخصي لدى الطفل، تدفعه للمزيد من هذا المحتوى (النّقرة = رغبة)، فتقوم بتكثيف وشن محتويات مشابهة وعرض مقترحات أخرى قريبة من رغباته. يظهر كل هذا على سبيل المثال مع المحتويات القصيرة "الريلز" Reels في فيسبوك وأنستغرام، التي تحاول في كل مرّة تشجيعه لاستهلاك محتويات جنسية بعينها أو المزيد منها، من خلال اقتراح مشاهد أولية (واجهة) تخطف انتباهه، بجمالية الصورة (الألوان، الحركة، التّوقيت، الجذب...) مع الاعتماد على أساليب كل ما هو غريب وطريف ومثير، إنّه خطف للانتباه نحو المحظور.

في هذا المقام يمكن الإشارة مثلًا إلى شركة مايند جيك MindGeek التي تعتبر واحدة من أهم الأسباب التي أنعشت تجارة الجنس في العالم بل ووسّعت من اقتصاديات الإباحية في العالم، هذه الشركة تستخدم خوارزمية لا تختلف عن خوارزميات مستخدمة في شركات أخرى كأمازون Amazon أو إعلانات فيسبوك، على أساس تاريخ التّصفح لزوار هذه المواقع، في أي مكان وعلى أساس الموقع الجغرافي، وبالتّالي فإنّ أنماط استخدام الإباحية من طرف الجمهور – بما فيه الطفل- تتشكّل وتتحدّد بشكل كبير انطلاقًا من القاعدة الاقتصادية الكلاسيكية أنّ السوق يمثّل مجموع الرّغبات والحاجات التي يبحث عنها الزّبون، وما على المُنتج سوى توجيهها وتحقيقها. (إبراهيم، 2016)

إنّ من بين أبرز تداعيات تلقي الطّفل بشكل متكرر للمضامين البصرية ذات الملمح الجنساني، هو افتنانه في مرحلة لاحقة بكل ما له صلة بمكون الصورة، خصوصًا وأنّ هذا الجيل الذي عرف بـ Generation Z وُلد ونشأ وسط أكوام تقانية يعتقد في حضورها مسألة حيوية ووجودية، ولهذا نجد أنّ أبناء هذا الجيل أكثر عُصابية في إظهارهم لأجسادهم، فيصبح الطّفل أو المراهق مهووس بتوظيف جسده كأسلوب إشهاري له وبحثًا عن استعراض ذاته أمام الآخرين باستخدام كاميرا العدة التكنولوجية.)ضربان،(2024 لاحظ كيف أنّ غالبية الأطفال والمراهقين اليوم ومن كلا الجنسين يميلون إلى أخذ وضعيات غرائبية ومُلفتة أثناء جلسات التّصوير، صور مقرّبة جدًا للوجه الجانبي، تكشّف لأجزاء من الجسد بطريقة وكأنّها عفوية، توظيف النّظرات

المغرية والابتسامات الفاتنة لإظهار حالة نفسية خاصّة... كل هذا مع استخدام الدراما التّصويرية التي توفّرها تطبيقات الفوتوشوب والتّعديل أثناء تحرير صورهم. إنّه "عرض للذّات" ومسرحتها الاجتماعية باستخدام الوسائط الرّقمية.

بالمجمل، إنّ تغوّل هذه الصّناعات التكنولوجية وتمرّد الوسائط الرّقمية المبتكرة في سياقنا المحلي أسهمت فيه وبدرجة كبيرة الأسرة وعلى رأسها الوالدين أو لنقُل أولياء الطّفل؛)بن ورقلة،(2024 فغياب الرّقابة المنزلية واستسهال التّهديدات المحدقة واللّامبالاة المبالغ فيها، بالإضافة إلى عدم الاكتراث لخصوصية الطّفل وعمره مع طبيعة الوسيلة التكنولوجية، أوقعته في متاهات استخداماتية خطيرة. ليجد الطّفل نفسه متحرّرًا وخاضعًا أمام كم هائل من العروض البصرية الجنسية التي لا تتوقّف، يجاريها بمجرّد تحريك أصبعي Scrolling في مرحلة ما يصبح تحريكًا لا إراديًا وقهريًا، وكل هذه الحرب التي يخوضها الطّفل لوحده بعيدًا عن والديه هي حرب إدراكية وسلوكية مصيرية.

3. تهديدات المحتوى الجنسي على الطفل في ظل السّياق الاجتماعي التّقليدي

تتعدّد المخاطر والتّهديدات التي تواجه الأطفال المستخدمون للأنترنت، والذين يتعرّضون بصريًا للمحتويات الجنسية الوافدة إليهم، سواء برغبة وطواعية أو عن طريق الصّدفة، أو تحت تأثير الإغراء في حالات معيّنة، وتتوسّع دائرة هذه المخاطر أكثر في حالة غياب الرّقابة الأسرية، وتراجع أساليب المرافقة العائلية لهم. ويمكن لوقوف ما على أهم هذه المخاطر والتّهديدات:

- **الإدمان الرّقمي (**Digital Addiction**):** تتّجه هنا الكثير من نتائج الأبحاث والدّراسات إلى التّأكيد بأنّ الاستخدام المفرط للتكنولوجيا ووسائل التّواصل الاجتماعي، من شأنه أن يؤدّي إلى الإدمان الرّقمي بين الأطفال، (Yadav, 2022 p. 117) هذا الإدمان الذي ينعكس مع مرور الوقت على شخصية الطّفل وسلوكياته، مع تراجع تركيزه المدرسي واضطراب سلوكياته، وتراجع معدل فاعليته الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها.

  وهذا الاستخدام المكثّف الذي يؤدي إلى الإدمان الرّقمي مع مرور الوقت، يتحقّق أكثر وبخطورة، إذا كانت طبيعة المحتويات المُشاهدة من باقة العروض الإباحية التي تثير فضول الطّفل، فيطلب المزيد في كل مرّة، لأنّ مخياله يتشبث بصور عالقة أثارته من البداية... كل هذا إذا وجد بيئة غير مبالية ولا وجود لرقابة داخل فضاء أسرته. (بصافة، 2024) هذا بالإضافة إلى عامل "اتساع الفراغ" في برنامج الطّفل مع غياب الأنشطة الثقافية والرّياضية اليومية. (بن زيدون، 2024)
- **الاستغلال الجنسي:** ويعدّ هذا من أكثر التّهديدات التي تواجه الطّفل وهو يتعرّض للمحتويات الجنسية الوافدة عبر الانترنت، حيث أنّ القائمون على هذه الصّناعات أو ما يعرف بتجّار الجنس يركّزون في صناعتهم على عنصري الجاذبية والإغراء بالصّورة، طمعًا في استدراج ضحاياهم الأطفال، وتشجيعهم على الانخراط في هذا العالم الذي يُصوّر إليهم على أنّه ممتع في لحظاته، سهل الوصول وآمن دون رقابة ... كما يتمّ التّركيز في هذه الصّناعة على توظيف أطفال الآخرين يتقاسمون معهم النّوع، السّن، المستوى بل وحتّى الوضعيات الاجتماعية والاهتمامات والظّروف، إذا حدث وأن أدخل الطفل بيانات سوسيو-ديموغرافية شخصية. وغالبًا ما تتم هذه العمليات الاستدراجية من خلال طلب الضّغط على زر المحادثة تحت تأثير اللّحظة و تصاعد اللّذة، بالإضافة إلى طلب حساب

التّواصل الاجتماعي، عنوان الهاتف، البريد الالكتروني.. وغيرها من أشكال وقوالب التّواصل الممكنة - المشار إليها سابقًا -.

- **إشاعة "الشذوذ الجنسي" واستسهاله:** وتعتبر هذه النقطة من أكبر التّهديدات الحقيقية التي تواجه "مجتمع الأطفال" المستخدم للعدة التكنولوجية والمتعرض لمحتوياتها المختلفة. حيث تكمن هذه الخطورة أساسًا في أنّ الطفل قد يكسب وعيًا جنسيًا مبْكرًا بشكل خاطئ، وهذا نتيجة الحشو والإغراق البصري بمعاني سامّة، ومحاولة تمرير رسائل تنكيس الفطرة السليمة بإشاعة المثلية واستسهال الشذوذ بين الجنسين، (بن الصغير، 2024) وكل هذا بتوظيف الحيل والاستمالات السيكوديناميكية التي تراوغ العقل الباطن للنّاشئة.

والملاحظ في الآونة الأخيرة أنّ الكثير المنصات الرّقمية باتت تمنح من خلال إدارتها للمحتوى المعروض مشروعية لسلوكيات الانحراف الجنسي من خلال تمرير إيحاءات ممنهجة، وكذا تثمين مرئية هذا الانحراف وتقديمه ضمن المقترحات الأساسية للمستخدمين. سياقيًا، ليس لن يكون غريبًا إذا وجدنا نتائج الدراسات الأجنبية في هذا الموضوع متقاربة مع واقع استخدامات الأفراد (الأطفال والمراهقين) لتكنولوجيات ومنصات التّواصل الاجتماعي في البيئات المحلية في ظل "الهوس الجنسي" الذي يتصاعد بين المراهقين والشّباب والذي تتبناه المخطّطات التّحيينية لكبريات الشّركات التكنولوجية الدّاعمة لإذابة وتمييع القيم والأخلاق العامّة بواسطة وساطات ومنصات مغرية الأداء، واستهدافها للعالم الإسلامي والعربي على وجه التّحديد.

- **اضطراب الهوية:** ويتمظهر هذا من خلال تزايد أعراض نفسية في شكل اضطرابات كالاكتئاب، السلوك الجنسي القهري، عدم القدرة على الانخراط في الحياة اليومية أو على تكوين علاقات سوية، بالإضافة إلى اضطراب في الهوية الجنسية للطّفل. (بن معمّر، 2024) وتكشف هنا الدّراسة التي أنجزتها Nicola Doring على أنّ الحياة الجنسية الرّائجة عبر الانترنت يمكن أن تؤدّي إلى تأثيرات حتّى على المواقف والهويات الجنسية وعلى التنشئة الاجتماعية الجنسية للأطفال والمراهقين على وجه التّحديد، وعلى طبيعة العلاقات بين الجنسين.. وحتى في انتشار الأمراض المنقولة جنسيًا، وتطور الاضطرابات الجنسية... وغيرها من التأثيرات المحتملة. (Doring, 2009) كل هذا نتيجة العروض البصرية الوافدة رقميًا والتي يغرق فيها الطفل عند مشاهدتها.
- **الشرود الذّهني وقلة التّركيز:** فالاستخدام المكثف لوسائط التّرفيه التكنولوجية ومواقع التّواصل الاجتماعي يوميًا، من شأنّها أن تقلّل وتضعف من تركيز الطّفل داخل المدرسة، مع احتمالية وقوعه في دائرة الشّرود الذهني، نتيجة الارهاق الذهني الذي يصاحب التّعرض للمحتويات البصريات التي تتيحها ألعاب التّرفيه، خصوصًا مع قلة ساعات النّوم والسّهر المتأخّر. لذلك نَلاحظ في سياقاتنا أنّ الكثير من المدرّسين يربطون غياب تركيز التّلاميذ وضعف تحصيلهم المدرسي بظاهرة "الاستخدام المفرط" للتكنولوجية، التي باتت فعلًا تشكّل تهديدًا صريحًا على صحّتهم النّفسية والجسدية.
- **تصاعد السلوك العدواني مع إمكانية التأثير في الآخرين:** فالتّعرض المتكرر لمشاهد الاباحية المفرطة من شأنها أن تؤدي إلى تزايد أشكال عدوانية الطفل تجاه أقرانه؛ زملائه داخل المحيط المدرسي أو أصدقائه أثناء اللعب خارجًا، هذا مع إمكانية تمثيل ومحاكاة مشاهد جسدية أو لفظية سبق وأن شاهدها فيقوم بمحاكتها وتقليدها. (رقاد، 2024) ولأنّ الطفل هو امتداد للمكان الذي يوجد فيه، فإنّ هنالك احتمالية أيضًا كي يؤثّر الطفل الضّحية في الأطفال الذين هم حوله، من حيث أنّه في

وسعه أن يقوم باطلاعهم بتجاربه الشّخصية والسّرية وتشجيعهم على معايشة التّجربة المثيرة. (البار، 2024)

- **الصّدام النّفسي الداخلي:** وهو على ارتباط بالنقطة السّابقة، فتعرض الطفل للمحتويات الاباحية يجعله أكثر عرضة لتأثيرها القوي فيما بعد؛ فالطفل يخزن صور ذهنية متتالية لما شاهده، وبعد مرور مدة زمنية معينة يقوم باسترجاع تلك الصور و المكبوتات فيرغب في معايشتها وتجريبها على أرض الواقع. وهذا ضمنيًا ما نبّهت إليه نظرية الغرس الثقافي في أنّ التّأثير التّراكمي لمحتويات العنف والجنس...وغيرهما، من شأنها أن تنعكس على تصورات وسلوكيات المتلقي بعد مدة معينة في إطار التّأثير القوي على المدى البعيد. (جلولي، 2024) كل هذا يجعل الطّفل يعيش يوميًا صراعات داخلية بين رغبة داخلية قوية في محاكاة التّمشهدات الجنسية العالقة في ذهنه، وبين خوفه من الدراية الأسرية والأطر التي تضبط فضاء عيشه.
- **فقدان الثّقة بالذّات:** تتركز صناعة المواد الإباحية على مكوّن الصورة بشكل عام وأكثر تحديدًا على "صورة الجسد"، بحيث تجعل الطّفل المتلقي للصورة في موضع مقارنة مع الذّات، غير أنّ هذه الصّناعة تعمّق من شعور عدم الرّضا بالذّات والإحساس بالضعف وعدم القدرة والفشل عند عقد هذه المقارنة، فغالبًا ما تسوّق هذه الصناعات حالات وأجساد وسيناريوهات غير حقيقية، تمثيلية ومصطنعة وفيها من التّعديل والتّمويه والإبهار الشيء الكثير. وهنا تحيلنا الأستاذة بوكحيل إلى إمكانية أن تؤدي مثل هذه المشاهدات إلى الانتحار وإيذاء النّفس حتّى. (بوكحيل، 2024) لذلك فإنّ الاستمرار في التّعرض لمثل هذه المواد الوافدة يضع الطّفل في دائرة الضّعف والتشكيك في الذّات، خصوصًا وأنّ الطفل في بيئاتنا العربية لن يعرف فضاءات عيش مثل تلك التي يسوّق لها.
- **تراجع الحس النّقدي:** وهي مسألة مرتبطة بالخطورة السّابقة، حيث أنّ ولاء الطّفل لما يستخدمه ويتعرّض له يوميًا، من شأنّه أن يعمّق أزمة وعيه بالحقيقة، من باب أنّ الأطفال بشكل عام من الصّعب عليهم التّمييز بين الحقيقة والخيال على الإنترنت، ما ينجم عنه صعوبة تمييز ما هو حقيقي عن ما هو كاذب وخيال، (Yadav, 2022 p. 117) وهذا بالنّظر لقوة الصورة على التأثير في مخيلة الطّفل والاستحواذ على عقله – كما تمّ الإشارة إليه في المبحث السّابق -.
- **الهشاشة الثقافية والأخلاقية والقيمية:** وهو التّهديد الذي لا يمس الطّفل لوحده بل يمتد ليشمل جميع مكوّنات المجتمع ككل، حيث أنّ الجنسانية المكثّفة التي تسوّق لها الصّناعات الرّقمية وتعمل على رفع سقف التّداول الحر والتدفق لها، والتي تخلق الإدمان وتستديمه كعادة وسلوك يومي، من شأنها أن تستنزف العقل وتصادر المنطق العقلي والأخلاقي والقيمي وتضعف الرّساميل الاجتماعية والثقافية في مخيّلة الأفراد والجماعات، والقفز بهم من واقعهم الحقيقي نحو عذا الواقع الافتراضي الهلامي التّجريدي، والذي يقذف بهم بدوره في عوالم الزيف، الوهم والرّفاهية الزّائفة والاستعاضة عنه بثقافة اليومي البليدة وذات الحضور الجنسي المكثّف والاعتيادي، ورفع الحرج السوسيو ثقافي للأفراد. (حجّام، 2024)

III. توصيات البحث:

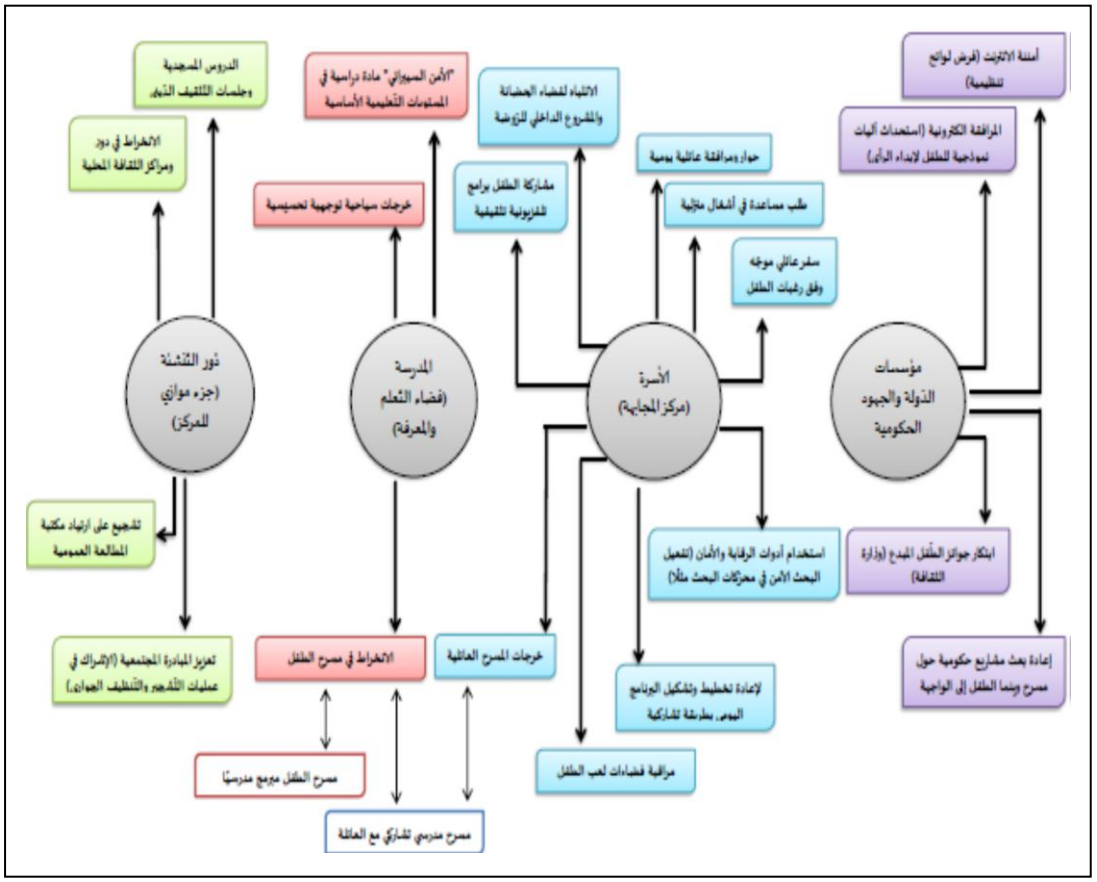
تأسيسًا على ما سبق مناقشته، وفي ضوء الأهداف المرسومة في بادئ البحث، نخلص إلى جملة من التّوصيات العملية، في إطار مجابهة مأزق "الجنس الرّقمي الوافد" الذي يتسلل مع مرور الوقت وبقوة إلى عالم الطفل، في النّقاط الآتية:

1. ضرورة أن "**تشغل الأسرة مكانها الطّبيعي**" من خلال الالتزام بدورها الرئيسي والفاعل في عمليات المرافقة والتنشئة الاجتماعية للطفل، وذلك باستخدام كل الطرق والأدوات والحيل الممكنة، والعمل على "مراقبة" سلوكيات الأبناء وتوجّهاتهم أثناء استخداماتهم للعدد التكنولوجية داخل المنزل وخارجه، فلا يُعقل أن نترك الطّفل وحيدًا مع وسائل تكنولوجية يمكن أن تؤذيه في أي لحظة.
2. استخدام وتفعيل "**أدوات الرّقابة والأمان المتاحة**"، كتفعيل خاصّية البحث الآمن Safe Search في محرّكات البحث، وذلك للحيلولة دون وصول الطّفل إلى المحتويات المحضورة، وذلك على كل الأجهزة والوسائل التي تعمل بالأنترنت (حواسيب شخصية، هواتف ذكية، ألواح ذكية، ساعات يد ذكية مدمجة... وغيرها).
3. وجوب اليقظة من تهديدات الألعاب الإلكترونية، وذلك من خلال مراقبة الأطفال أثناء دخولهم في تجارب "**الألعاب الافتراضية**" التي أصبحت تشكّل تهديدًا حقيقيًا لهم، بسبب الرّسائل المعلنة والمضمرة الخطيرة التي تثير في عمومها اللّذة الجنسية وتنشر محتويات الشّذوذ الجنسي... وتصوير عالم الجنس ببراءة وباستسهال ممارسته، وكل هذا كمحاولة للسّيطرة على مدارك الطّفل وخيالاته.ذ
4. في حال ترك الطّفل مع الوسائط الرّقمية، هنالك ضرورة لـ "**معاينة وفلترة**" الألعاب، الحسابات، الصّفحات والمجموعات ومختلف المساحات الإلكترونية التي يمكن أن يصل إليها الطفل أو تصل له بشكل دوري، مع العمل على محاصرة كل الثغرات التي تخلقها البيئة الإلكترونية في توسعاتها الجنسانية، خصوصًا الإعلانات الجنسانية المختلفة.
5. ضرورة الانتباه إلى "**خطر الفراغ** باعتباره أحد أهم الأسباب التي تحرّض الطّفل على مشاهدة الممنوعات البصرية، لذلك من المهم ملأ برنامج الطفل والحرص على متابعة أنشطته اليومية (المدرسة، فضاءات اللّعب داخل الأسرة وخارجها، توجيه المشاهدة التلفزيونية... وغيرها)، وتمكينه من ممارسة الريّاضة وتحفيزه على رياضة معيّنة يسهل من مشروع "حماية الطفل من المواد الرّقمية الوافدة".
6. ولأنّ الأصدقاء وشبكة الانترنت يعتبران من أهم المصادر التي يصل من خلالها الطفل إلى العالم الجنسي، وهما مصدران خارجيان – خفية عن الأسرة - ، فإنّ هنالك حاجة ملحّة لتفعيل دور الأسرة، وذلك من خلال "**التّربية الجنسية الواعية**"، وهي التّربية التي من شأنها أن تمكّن الطفل من التّعرف على معلومات أساسية بأسلوب علمي تخص الحياة الجنسية بما يتوافق وسنه، لأنّ هذه التّربية ذات الطّابع التّثقيفي من شأنها أن تكسبه روح المسؤولية من جهة، وتنبّهه إلى حجم المخاطر والعواقب المحتملة من جهة ثانية.
7. ضرورة الانتباه لخلق فضاءات جديدة للطّفل، لمواجهة المد الرّقمي الجنساني، وهذا من خلال إعادة مراجعة البرنامج اليومي للطّفل خصوصًا في أوقات الفراغ ومن ذلك، تحسيسه وتشجيعه على ممارسة مختلف أشكال الرّياضة الفردية والجماعية، ومحاولة رسم أفق هذه الممارسة في مخيلته.
8. ضرورة الانخراط الحكومي في مشروع "**أمننة الانترنت**" الذي اقترحته اليونيسيف، والرّامي إلى وضع اللوائح التنظيمية اللازمة بالتّنسيق مع شركات التكنولوجيا لتعزيز استخدام تدابير السلامة المقبولة على منصاتها. مع دعمها لجهود الوزارات الوصية لتعليم الأطفال مهارات محو الأمية الرقمية ومهارات السلامة على الإنترنت. (Unicef, 2023)
9. تعزيزًا لمفهوم "**المرافقة الإلكترونية**" ضرورة استحداث آليات نموذجية تمنح الطّفل فرصة الإدلاء عن ما يشعر به أو ما يهدّده أو يُفرض عليه خارجيًا، لتوسيع دائرة الأمان الاجتماعي من حوله، آليات

تكون إلكترونية، سريعة وبسيطة الخطوات من أجل التّدخل والنّظر في الحال. وهذا من أجل إنهاء ثقافة الصّمت "End the culture of silence ".

10. ضرورة إدراج "**الأمن السيبراني**" كمادة أساسية من مواد تدريس النّاشئة في المراحل الإعدادية الأولى (الابتدائي، المتوسّط والثّانوي)، للتّعريف بالعالم السيبراني، أشكاله وأصنافه، مخاطره وتهديداته وأفاقه... خصوصًا وأنّ التّحولات التكنو-اتصالية المتسارعة تُثبت يومًا بعد أخر أنّ التّجاذبات الاجتماعية وأنماط المعيش المستقبلية ستكون رقمية لا محالة.

ويمكن في الأخير، ترجمة هذه التّوصيات في شكل "مخطّط عام" يرتكز على رباعية [الحكومة، الأسرة، المدرسة ودُور التّنشئة]، وذلك على النّحو الآتي:



مخطّط التّوصيات: من إعداد الباحث

IV. خاتمة:

تأسيسًا على النّقاش والمطارحات الفكرية السّابقة، لا بدّ من التّأكيد على أنّ موضوع "العروض الجنسية الوافدة رقميًا" إلى الطّفل هو موضوع بحثي معقّد، تجاسري ومفتوح... تتشارك فيه تخصصات علمية مختلفة كل من زاوية مداخلها الفكرية والمعرفية، حتّى أنّ المقابلات العلمية التي تمّ إجراؤها مع الأساتذة – على أهميّتها - لا يمكن بأي حال أن تقدّم صورة كافية ووافية عن الفهم الحقيقي والدّقيق لهذه الظّاهرة السوسيو-أنثروبولوجية المتشابكة، وهذا ما يكشفه معنا الأستاذ "لعيّاضي"، في قوله بأنّ الحل يبدأ من إجراء دراسات ميدانية مستفيضة والاطلاع على ممارسات الأطفال في الشّبكة. (لعيّاضي، 2024)

من هذا المنطلق واعتبارًا لسّياقات المعيش، فإنّ هنالك ضرورة لفتح أسئلة مصيرية ذات صلة بموضوع بحثنا: أين يستخدم الطّفل التكنولوجية المتاحة؟ أي أوقات يفضّلها؟ ماذا يبحث في المواقع الإلكترونية؟ ما هي تصرفاتهم بعد عملية الاستخدام؟ ما الذي تغيّر فيه؟ من هم جماعة الرّفاق الافتراضيون الذين يتواصل معهم؟ كيف يتصرّف الأولياء مع أطفالهم الذين يستخدمون الهواتف والألواح الذّكية؟... وغيرها من التّساؤلات التي يُمكن أ تقودنا إلى فهم ولو جانب من حقيقة "تعاطي الطفل مع المحتويات الرّقمية الوافدة" وكل هذا لن يتحقّق من وجهة نظرنا إلّا ببعث وتشكيل مشاريع بحثية جادّة على مستوى هيئات ومراكز الأبحاث أو الفرق البحثية داخل المختبرات العلمية بالمؤسسّات الجامعية، قصد التّصدي لهذه الظّاهرة بالتّشخيص الدّقيق والتّحليل المستفيض من على الميدان مباشرةً.

وعلى الرّغم من كل المسائل المشار إليها في متن البحث، والتي تنحو أكثر إلى المقاربة التّشاؤمية في النّظر إلى طبيعة العلاقة بين الطفل والتكنولوجية، فإنّه بالمقابل لا بدّ من الإشارة إلى أنّ التكنولوجيا والعدة الرّقمية يمكن أن تكون نافذة إيجابية أيضًا على الطّفل إذا أحسن توظيفها واستثمارها شريطة المرافقة الأسرية الواعية والجادّة، فمن مكاسب هذه الأدوات والوسائط التكنولوجية ما لخّصه كل من ليفينغستون وبلوم روس Livingstone & Blum-Ross، في قدرتها على مساعدة الأطفال في تجسيد إبداعاتهم على أرض الواقع وإيصال أفكارهم ومشاعرهم وبناء احترامهم لذاتهم. هذا عدا قدرتها على تنمية وتطوير كفاءتهم الذّهنية واللغوية، وتشجيعهم على الابتكار المستمر وخلق التّنافسية بينهم... ، وهذا هو المبتغى في أن يكون مع استخدام الأطفال لتكنولوجيا الاتصال الجديدة.

في الأخير، يظلّ الطفل في كل المجتمعات والحضارات بناء اجتماعي construction sociale يخضع لنظرة الكبار تجاه عالم الطّفولة، والتي تختلف من مجتمع لأخر حسب المستوى الحضاري ومميزات الوسط السوسيو-ثقافي وخصوصيات الأجيال المتعاقبة والمعتقدات السّائدة. فالطّفل هو حجر أساس كل المجتمعات وعنصر محوري هيكليًا وثقافيًا، لكنّه في الوقت نفسه – وهذا هو المأزق - هش وضعيف وسهل الاختراق، تابع للسّياق الاجتماعي والخطاب السّائد في المجتمع. (معتوق، 2024) وبالتّالي فإنّ عملية إضعافه وتمييعه بمثل تلك المحتويات الرّقمية الجنسية ما هو إلّا وسيلة لضرب مركز المجتمع وثروته، وهذا الذي ينبغي أن تنتبه إليه كل الجهات الوصيّة وكل المكوّنات المجتمعية الفاعلة، كما سنستعرض في المحطّة الموالية والأخيرة الخاصّة بتوصيات البحث.

قائمة المراجع المعتمدة:

قائمة المراجع باللغة العربية والمعرّبة:

1. **أشرف إبراهيم. 2016.** اقتصاديات الإباحية "Pornography".. صناعة تتجاوز ميارات الدولارات! *ساسة SASA POST*. [متصل] 22 05, 2016. [تاريخ الاقتباس: 19 09, 2023.] https://www.sasapost.com/porno-economics/.

2. **أمينة بصافة. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 19 05, 2024.

3. **البوابة العربية للأخبار التقنية. 2024.** أبرز تهديدات الأمن السيبراني التي تستهدف طفلك في 2024. *العربية. نت*. [متصل] 22 01, 2024. [تاريخ الاقتباس: 22 04, 2024.] https://www.alarabiya.net/technology.

4. **جميلة بن زيدون. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. الجزائر، 19 05, 2024.

5. **جيسيكا كلين. 2021.** هل يصبح الجنس الافتراضي بديلا للعلاقة الجسدية؟ *News BBC*. [متصل] 18 02, 2021. [تاريخ الاقتباس: 16 04, 2024.] https://www.bbc.com/arabic/vert-cap-56090485.

6. **حازم حمّاني. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. الجزائر، 18 05, 2024.

7. **حليمة رقاد. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 19 05, 2024.

8. **رحيمة بن الصغير. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 20 05, 2024.

9. **رضوان بوجمعة. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 17 05, 2024.

10. **سامية بوكحيل. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 20 05, 2024.

11. **الطّيب البار. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 18 05, 2024.

12. **عبد الحميد ساحل. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 20 05, 2024.

13. **العربي حجّام. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 18 05, 2024.

14. **فتحية معتوق. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش*. 20 05, 2024.

15. **محمد عبد الجواد. 2021.** تاريخ الإباحية و إلى أين نحن ذاهبون؟! *واعي*. [متصل] 01 08, 2021. [تاريخ الاقتباس: 29 04, 2024.] https://uraware.org/ar/article/491.

16. **مختار جلولي. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش.* 20 05, 2024.

17. **مريم ضربان. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش.* 17 05, 2024.

18. **نادية بن ورقلة. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش.* 20 05, 2024.

19. **نبيل بن معمّر. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش.* الجزائر، 18 05, 2024.

20. **نصر الدّين لعيّاضي. 2024.** *مقابلة علمية مفتوحة حول العروض الجنسية الوافدة رقميًا وتهديداتها على الطّفل في سياقات المعيش.* 18 05, 2024.

قائمة المراجع باللغات الأجنبية:

21. **Criddle, Cristina. 2022.** Mobile gaming companies using sexual ads to attract new users. *Financial Times.* [Online] 08 29, 2022. [Cited: 04 27, 2024.] https://www.ft.com/content/8d9aea1c-cffb-4f7c-9454-11b0c58e6b3b.

22. **Doring, Nicola M. 2009.** the Internet's impact on sexuality: A critical review of 15 years of research. *Elevier B.V.* 09 2009, Vol. 25, 05, pp. 1089 - 1101.

23. **ECPAT, INTERPOL and UNICEF. 2021.** *Disrupting Harm in Kenya: Evidence on online child sexual exploitation and abuse. Global Partnership to End Violence against Children.* Kenya : s.n., 2021. pp. 01 - 102.

24. **Kaspersky Security Network (KSN). 2023.** *Kaspersky Security Bulletin 2023. Statistics.* s.l. : Kaspersky bring on the future, 2023. pp. 01 - 20.

25. **Livingstone, Sonia and Alicia, Blum-Ross. 2020.** Parenting for a Digital Future: How Hopes and Fears about Technology Shape Children's LivesHow Hopes and Fears about Technology Shape Children's Lives. 01, 09 2020.

26. **Middlesex University. 2016.** *0nline Pornography: Young people's experiences of seeing online porn and the impact it has on them.* UK : The Children’s Commissioner for England, NSPCC and Middlesex University, 2016. pp. 01 - 11.

27. **—. 2016.** Report reveals: damaging impact of online pornography on children. *Middlesex University.* [Online] 06 15, 2016. [Cited: 04 22, 2024.] https://www.mdx.ac.uk/news/2016/06/children-desensitised-to-damaging-impact-of-online-pornography.

28. **Monique Ward, Lucretia, et al. 2016.** Sexual Media Content and Effects. 08 31, 2016.

29. **Rouillé-Mirza, Ségolène et Barbry, Éric. 2007.** Nouveaux moyens de communication, protection des mineurs et mesures techniques. *LEGICOM.* 2007, 03, pp. 69 - 75.

30. **Staksrud, Elisabeth, Livingstone, Sonia and Haddon, Leslie. 2007.** *What Do We Know About Children’s Use of Online Technologies? A Report on Data Availability and Research Gaps in Europe.* s.l. : EU Kids Online network, 2007. pp. 01 - 63.

31. **Yadav, Kamlesh. 2022.** Children's Use of Technology and social media. *NeuroQuantology.* 12 2022, Vol. 20, 21, pp. 116 - 122.

32. **Zidenberg, Alexandra. 2015.** *Telephone Scatalogia: A Review of the Limited Literature.* Instute of Technology, Univerdity of Ontario, Toronto, Ontario : s.n., 07 2015.

ملحق البحث: قائمة الأساتذة الباحثون المقابلون

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة العلمية	التّخصص	الجامعة المنتمي إليها
01	نصر الدّين لعيّاضي	أستاذ التّعليم العالي	علوم الإعلام والاتصال	جامعة إبراهيم سلطان شيبوط/ الجزائر3
02	رضوان بوجمعة	أستاذ التّعليم العالي	علوم الإعلام والاتصال	جامعة إبراهيم سلطان شيبوط/ الجزائر3
03	فتحية معتوق	أستاذ التّعليم العالي	علم الاجتماع	جامعة إبراهيم سلطان شيبوط/ الجزائر3
04	عبد الحميد ساحل	أستاذ التّعليم العالي	علوم الإعلام والاتصال	جامعة إبراهيم سلطان شيبوط/ الجزائر3
05	العربي حجّام	أستاذ التّعليم العالي	علوم الإعلام والاتصال	جامعة العربي بن مهيدي/ أم البواقي
06	الطّيب البار	أستاذ التّعليم العالي	علوم الإعلام والاتصال	جامعة العربي بن مهيدي/ أم البواقي
07	نادية بن ورقلة	أستاذ التّعليم العالي	علوم الإعلام والاتصال	جامعة زيان عاشور/ الجلفة
08	جميلة بن زيدون	أستاذ محاضر "أ"	علوم الإعلام والاتصال	المدرسة الوطنية العليا للصّحافة وعلوم الإعلام
09	حليمة رقاد	أستاذ محاضر "أ"	علوم الإعلام والاتصال	جامعة عبد الحميد بن باديس/ مستغانم
10	أمينة بصافة	أستاذ محاضر "أ"	علوم الإعلام والاتصال	جامعة العربي بن مهيدي/ أم البواقي
11	مختار جلّولي	أستاذ محاضر "أ"	علوم الإعلام والاتصال	جامعة مولاي الطّاهر/ سعيدة
12	نبيل بن معمّر	أستاذ محاضر "أ"	علم النّفس العيادي	جامعة عبد الحميد مهري/ قسنطينة 2
13	حازم حمّاني	أستاذ محاضر "أ"	علم النّفس الجريمة	جامعة عبد الحميد مهري/ قسنطينة 2
14	رحيمة بن الصّغير	أستاذ محاضر "ب"	علم الاجتماع الدّيني	المركز الجامعي سّي الحوّاس/ بريكة
15	مريم ضربان	أستاذ محاضر "ب"	علوم الإعلام والاتصال	المركز الجامعي مرسلي عبد اللّه/ تيبازة
16	سامية بوكحيل	أستاذ مساعد	علم اجتماع الاتصال	جامعة محمد الصّديق بن يحيى/ جيجل